القول الفصيح لنفي إلوهيّة المسيح عليه السلام في مناظرات الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور علي شمعون حنا
قسم الفلسفة والأديان، كلية الفلسفة والأديان، جامعة المصطفى العالمية، قم، إيران
Khoshaba_64@yahoo.com

The eloquent statement to deny the deity of Christ In the debates of Imam Ali Ibn Musa al - Ridha (a)

Dr. Ali Shamoun Hanna
Assistant Professor , Department of Philosophy and Religions , College of Philosophy and Religions , Al-Mustafa International University , Qom , Iran

الملخص:-

النقاش الديني كان وما زال مستمرًا في معرفة الإله المتعالي عن فهم عقول البشر، وقد أرسل الله عز وجل الأنبياء والرسل لإفهام البشر مسألتين مهمّتين حول طبيعة الايمان بالإله الخالق لهذا الكون، أولها أن هناك رباً وخالقاً وإلهاً متعال ومقدّس وهو فوق ما يتصوره البشر، والثاني أن هذا الإله هو وحده الخالق المؤثر في هذا العالم وله القدرة المطلقة، لينفي تعدد الآلهة وتنوعها، وقد أكدت الأديان السماوية التوحيدية على هذين الاصلين في نصوصها المقدسة وتعاليمها السماوية، ولكن وللأسف فان بعض هذه الرسالات السماوية التوحيدية أصابها الانحراف عن التعاليم التوحيدية التي بيّنها الله للبشرية، وقد اختلطت بعض تعاليمها بالاعتقادات غير الصحيحة عن الإله المعبود، ومن هذه الأديان التي اصابها هذا النوع من التحريف تعاليم المسيحية عن حقيقة معرفة الخالق المتعالي، فالمسيحية مع كونها ترى أن الله الخالق واحد لا شريك له وهو فوق ما يتصوره العقل والادراك البشري، ولكن مع ذلك تعتقد بأن هذا الإله لبس لباس الناسوت وتجسّد في شخص انسان، لكي يكشف ويعلن عن ذاته للبشرية كلها، وقد سعى آباء الكنيسة وعلماء المسيحية إلى الاستدلال على الوهية المسيح عليه السلام ببعض الادلة التي تتضمن مغالطات كثيرة، وفي المقابل فان الكثير النصوص الدينية للدين الإسلامي الخاتم للإديان أوضحت بطلان عقيدة إلوهيّة المسيح عليه السلام وفكرة تجسد الإله، وفي هذا البحث سأتناول حقيقة هذا المعتقد المسيحي وكيفية إبطاله من خلال تحليل مناظرات الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام مع بعض علماء المسيحية في عصره، والادلّة العقلية والدينية التي ذكرها الإمام عليه السلام في نفي الإلوهية عن المسيح عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: المناظرة، الإمام الرضا عليه السلام، الجاثليق، إلوهية المسيح عليه السلام، التجسد.

Abstract:-

Wherever the religious painting is lost, it is continuously in the knowledge of the Almighty God to understand the minds of human beings, God Almighty sent prophets and messengers to make people understand two important issues about the nature of belief in the God who created this universe.

The first is that there is a Lord, a Creator, a transcendent and holy God who is above what humans can imagine, and the second is that this God is the only Creator who affects this world and has absolute power. To deny the plurality and diversity of deities. The monotheistic monotheistic religions emphasized these two origins in their sacred texts and heavenly teachings.

Unfortunately, some of these monotheistic divine messages It deviated from the monotheistic teachings that God made clear to humanity. Some of its teachings were mixed with incorrect beliefs about the deity, and among these religions that have been affected by this type of distortion are the teachings of Christianity about the reality of knowing the transcendent Creator, Christianity even though it sees that God the Creator is One, has no partner, and is above what the mind and human understanding can imagine, yet it believes that this God wore the mantle of humanity and incarnated in the person of a human being, In order to reveal and reveal Himself to all of humanity, the Church Fathers and Christian scholars have sought to infer the deity of Christ with some evidence that includes many inaccuracies, On the other hand, many religious texts of the Islamic religion, which is the last of all religions, have clarified the invalidity of the doctrine of the divinity of Christ and the idea of the incarnation of God.

In this article, I will discuss the truth of this Christian belief and how to invalidate it by analyzing the debates of Imam Ali Ibn Musa Al-Ridha (a) with some Christian scholars of his time, and the mental and religious evidence mentioned by the Imam (a) in denying the divinity of Christ (a).

Key words: debate, Imam al-Rida (a), the Catholic, the divinity of Christ, the incarnation.

التمهيد:

لقد أوصى الله تعالى المسلمين بالحوار العلمي والديني بشكل كبير، لا سيما مجادلة ومناظرة اهل الكتاب، وقد أرسى أسس متينة للحوار الديني مع أتباع الاديان السماوية، أولها الاحترام ومراعاة ادب الحوار بعيداً عن التشنج والعصبية، قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت: ٤٦.

سأتناول في هذا البحث وبشكل مختصر عقيدة إلوهيّة المسيح عليه السلام وبيان بطلانها عقلًا ونقلًا من خلال مناظرات الامام علي ابن موسى الرضا عليه السلام، وواحدة من تلك المناظرات كانت بين الامام الرضا عليه السلام مع احد كبار علماء المسيحية في زمانه وهو الجاثليق، وهي معروفة في كتبنا التراثية والروائية بـ" مناظرة الامام الرضا مع الجاثليق" وساجعلها في نقاط لبيان بعض جزئيات هذه المناظرة حول عقيدة الوهية المسيح عليه السلام بما يسمح به هذا البحث.

أوّلاً: حياة الامام الرضا عليه السلام .

الإمام الرضا عليه السلام هو ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، واسمه هو علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولد الإمام الرضا في المدينة المنورة سنة(١٤٨ هجرية ٧٦٨ ميلادي)، ومنها انتقل إلى ارض طوس (خراسان) بضغط من الخليفة العباسي المامون سنة (٢٠١ هجرية ٨٢١ ميلادي) لمنحه ولاية العهد مكرهاً، وكان قد تسلّم منصب الامامة بعد وفاة أبيه الامام الكاظم سنة ١٨٣ هجرية وقد استمرّت إمامته ٢٠ عاماً، وتوفّي بارض طوس سنة (٢٠٣ هجرية ٨٢٣ ميلادي) مسموماً علي يد المأمون، ودفن بمدينة خراسان (مشهد)، وصار مرقده مزاراً تقصده الملايين من مختلف البلدان[1].

واشتهرت مناظراته التي كان يعقدها المأمون بينه وبين كبار علماء الأديان والمذاهب الأخرى ومنها هذه المناظرة مع أحد كبار علماء المسيحية وهو الجاثليق، ومن خلال النقل التاريخي يرجح ان هذه المناظرة كانت بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بين سنة(٢٠١ - ٢٠٣ هـ ٨٢١ - ٨٢٣ ميلادي) والظاهر من النص الروائي انها كانت في مدينة مرو

قرب خراسان، وقد نقلت بعض الكتب الروائية هذه المناظرة ومنها كتاب الشيخ الصدوق[٢] (عيون اخبار الرضاعليه السلام) الذي نقل فيه هذه المناظرة، ولهذا فإن تاريخ هذه الرواية يعود الى أكثر من الف ومئة سنة خلت، وهذا يعطي إنطباع عن الاجواء السائدة في تلك الفترة[٣].

ثانياً: التعريف بالجاثليق

كلمة "جاثليق" هي كلمة أرمينية من أصل يوناني هو (كاثوليكوس)، ومعناها مطران عام أو الشامل، مسؤولاً على الكنيسة السريانية في الشرق (العراق وبلاد فارس)[٤] وتفيد معاجم اللغة أن الكلمة في كنيسة المشرق (الكنيسة الشرقية) تعني "متقدم الأساقفة" أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية، فكانت كلمة "جاثليق" تُطلَق على كبار الأساقفة الذين يمنعهم طول المسافات بين مقرّهم ومقرّ البطريرك الذي يتبعونه من الاتصال به في كل أمر، فصار لهم التصرف شبه المُطلَق في تدبير شؤون رعيتهم، وكان هناك كثيرون من "الجثالقة" في العراق تحديداً، ويذكر المؤرخ كوركيس عوّاد (١٩٠٨-١٩٩٢م)، أن الجاثليق هو رئيس النساطرة في ديار الشرق[٥].

والنص الروائي لهذه المناظرة لا يشير بشكل صريح إلى اسم هذا الجاثليق في المناظرة، ولكن من خلال تتبعي للتاريخ المسيحي الشرقي في العراق لمعرفة اسم الجاثليق المحتمل في هذه المناظرة، وعند مراجعتي لكتاب (حوارات مسيحية اسلامية في عصر الخلافة العباسية) وجدت ان هناك جاثليق له مناظرات كثيرة مع الخلفاء العباسيين وهو الجاثليق طيمثاوس الكبير(٧٢٧-٨٢٣) الذي عاصر عهد الخلفاء العباسيين المهدي وهارون الرشيد والامين والمأمون، وكان مقره في بغداد، وكانت له ثقافة سريانية لاهوتية اضافة الى معرفته الواسعة بالعربية، ولا يستبعد ان يكون هو نفس الجاثليق التي أشارت المناظرة اليه؛ لانه كان معاصراً للامام الرضاعليه السلام، وسنة وفاته مقاربة لسنة وفاة الامام الرضا عليه السلام[٦]، ولكن بالرغم من كل هذا يبقى هذا مجرد احتمال قوي دون وجود دليل لاثباته سوى هذه القرائن التي تفيد الظن دون اليقين.

ثالثاً: قبسات من مناظرة الامام الرضاعليه السلام مع الجاثليق

بالحقيقة المناظرة طويلة نسبياً ولا يتسع المقام لذكرها هنا، لذا ساكتفي بذكر قبسات منها على وجه الاختصار، وهي تبدء كما ذكرها الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضاعليه السلام على النحو التالي:

(عندما دخل الامام الرضا على المأمون وإذا المجلس غاصٌ بأهله... فقام المامون مستقبلاً، فلم يزل مقبلا عليه يحدّثه ساعة، ثمّ التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق، هذا ابن عمي علي ابن موسى ابن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي ابن ابي طالب فأحبّ أن تكلمه أو تحاجّه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج عليّ بكتابٍ أنا منكره ونبي لا أومن به؟

فقال له الامام الرضا: يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟

قال الجاثليق: وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل؟ نعم والله أقرّ به.

وهنا أرى ان أقف عند أهم مسالة عقدية ترتبط بوحدانية الله تعالى أشار اليها الامام في هذه المناظرة الطويلة وهي الوهية عيسى المسيح عليه السلام.

قال الامام الرضا: يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد وما ننقم على عيساكم شيئا سوى ضعفه وقلة صيامه وصلاته.

قال الجاثليق: أفسدت ـ والله ـ علمك وضعّفت أمرك، وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الاسلام.

قال الامام: وكيف ذاك؟

قال الجاثليق: من قولك: إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط ولا نام بليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل.

قال الامام الرضا: فلمن كان يصوم ويصلى؟ فسكت الجاثليق وانقطع.

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني أسئلك عن مسألة قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك قال الرضا عليه السلام: ما أنكرت ان عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله عز وجل قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل ان من أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لان يعبد. قال الرضا عليه السلام: فإن اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص فلم تتخذه أمته ربًّا ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل،

ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبى بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم. قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه قال: صدقت. ثم قال: يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات فاقبل اليهودي يترجج لقرائته ويتعجب! ثم اقبل النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله فقال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه: أن يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلى الجبانه فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسئلون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قوموا بإذن الله عز وجل فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش يسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم ان محمدا بعث نبيا فقالوا: وددنا انا أدركناه فنؤمن به ولقد أبرء الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهايم والطير والجن والشياطين ولم نتخذه ربًّا من دون الله عز وجل ولم ننكر لاحد من هؤلاء فضلهم فمتى اتخذتم عيسى ربًّا جاز لكم ان تتخذوا اليسع وحزقيل ربًّا؟ لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من احياء الموتى وغيره، وان قومًا من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميمًا، فمرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية فأوحى الله عز وجل إليه: أتحب ان أحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم يا رب فأوحى الله عز وجل إليه: ان ناداهم فقال: أيتها العظام الباليه قومي بإذن الله عز وجل فقاموا احياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم... وكل شئ ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه؛ لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ ربًّا من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أربابًا)[٧].

وهنا أود أن أنبّه على ان الامام الرضا عليه السلام عندما أستشهد بآيات من انجيل يوحنا لم تكن أناجيل العهد الجديد قد ترجمت الى العربية بعد، فلا توجد أي دلائل مؤكدة على

وجود ترجمة للكتاب المقدس بالعربية قبل الإسلام، ولكن بعد حضور الكثير من اليهود والنصارى بين المسلمين تحت الحكم الإسلامي في القرن السابع ظهرت الحاجة إلى وجود نسخ بالعربية، وهناك من يقول إن أول ترجمة للكتاب المقدس إلى اللغة العربية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، عندما قام يوحنا أسقف أشبيلية في أسبانيا بترجمة الكتاب إلى العربية نقلاً عن ترجمة إيرونيموس اللاتينية، وكانت ترجمته محدودة فلم تشمل كل الكتاب، كما لم يكن لها الانتشار الكافي(٨).

ويقال ان حنين بن اسحاق ترجم الكتاب المقدس عن الترجمة السبعينية الى العربية ولكنها مفقودة، وبعد ذلك توالت ترجمات أخرى من أشخاص كثيرين لأجزاء متفرقة من الكتاب المقدس، ومنهم ابو الفرج عبد الله ابن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣ ميلادي بترجمة الاناجيل الاربعة في انجيل واحد، واخيرا قام هبة الله بن العسال من الإسكندرية، بمراجعة إحدى الترجمات وضبطها وتصويبها، وكان ذلك عام ١٢٥٢م(٩).

ومن هنا يظهر ان الامام الرضا عليه السلام كان عالم بالتوراة والانجيل بلغته العبرية أو السريانية الآرامية أو اليونانية وقبل ترجمته للعربية، وهو ما أستشهد به على الجاثليق وأذعن له، وهذه المناظرة تثبت صدق وحقيقة ما نُقل عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان عندهم علم التوراة والانجيل.

وهنا نقف في شرح مقتطفات من هذه المناظرة المتعلّقة بإلوهية المسيح عليه السلام وكيفية ردّ الامام الرضا عليه السلام لهذه العقيدة الباطلة.

١: عبادة عيسى (صلاته وصومه) تدل على أنه ليس بإله

قال الامام عليه السلام للجاثليق: يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد وما ننقم على عيساكم شيئا سوى ضعفه وقلة صيامه وصلاته.

وهذه مسألة مهمة أشر إليها الامام الرضا عليه السلام، ويقينًا الامام كان على معرفة من أن المسيح عليه السلام ومن خلال ما يذكره العهد الجديد نفسه، كان كثير العبادة، إذ أنه صام أربعين يوما قبل أن يجريه الشيطان اللعين، وكذلك صلاته الشديدة، وخلوته للعبادة، كلها تشير إلى معنى كونه عبداً يؤدي واجبات العبودية لمعبوده وخالقه، فهل يعقل أن يكون الله سبحانه يسجد ويصلي ويصوم لنفسه؟ فأي عقل يقبل مثل هذه الأفكار؟ ومن هنا ألزم الجاثليق

بقبول حقيقة كونه عبدًا لا ربًّا.

والاناجيل الاربعة في العهد الجديد تنقل لنا مواقف عدّة عن عبادة المسيح عليه السلام الكثيرة والطويلة ومنها ما جاء في انجيل متى عن صيامه حيث يقول عن صيام المسيح الطويل:(ثم اصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من ابليس، فبعدما صام اربعين نهارا واربعين ليلة جاع أخيرا)[١٠]، يقول بعض المفسرين النصارى المعاصرين حول تجربة الصم الطويلة هذه:(لماذا جاع السيّد في نهاية الأربعين يومًا؟ تأكيدًا لناسوته، فلو أنه صام أكثر من موسى وإيليّا لحسبوه خيالًا، لا يحمل جسدًا حقيقيًا مثلنا. وقد جاع لكي يعطي الفرصة لتجديد الحرب مع الشيطان، إذ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: يئس إبليس عندما رأى المسيح صائمًا أربعين يومًا، لكنّه إذ رآه جائعًا بدأ الأمل يدب فيه من جديد، وعندئذ تقدّم إليه المجرّب)[١١].

وأمّا بخصوص صلاته عليه السلام فقد ذكرت الاناجيل الاربعة في نصوص كثيرة طول صلاته وسجوده، منها ما ذكره لوقا في إنجيله حيث يقول:(ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك، وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد كان يصلي باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن، فقال لهم لماذا انتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة)[١٢]

٢: احياء الموتى ليس دليلا على الربوبية والاحتجاج بقصة النبي حزقيل عليه السلام

قال الامام الرضا عليه السلام: لقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبى بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم. قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه قال: صدقت. ثم قال: يا يهودي خذ علي هذا السفر من التوراة فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات فاقبل اليهودي يترجح لقرائته ويتعجب.

هذه الحادثة مذكورة في سفر حزقيل في اسفار العهد القديم الموجودة بين أيدينا اليوم، وكما ذكرت فان هذا الامر يدلّ على معرفة الامام باسفار العهد القديم والجديد بشكل كامل، فقد جاء في سفر حزقيال حول حادثة أحياء الموتى ما نصّه:(كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا،وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي: ((يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟)) فَقُلْتُ: ((يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ) فَقَالَ لِي: ((تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ) فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِه. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي: ((تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا) فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا. ثُمَّ قَالَ لِي: ((يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ الْعِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا. لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ)[١٣].

وقد جاء ذكر حادثة أحياء جموع غفيرة بالالاف من الموتى في القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[١٤].

وعلى هذا المنوال وقف الامام الرضا عليه السلام في مواجهة الغلو في المسيح عليه السلام، بل والغلو في الإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام ففي رواية عنه عليه السلام أنه قال في نفي الالوهية عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال له رجل: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله فإن معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلها صفات علي عليه السلام، وأنه هو الله رب العالمين. قال: فلما سمعها

الرضا عليه السلام ارتعدت فرائصه وتصبب عرقًا، وقال: (سبحان الله سبحان الله عما يقول الظالمون والكافرون علوا كبيرا، أو ليس علي كان آكلاً في الآكلين، وشاربًا في الشاربين، وناكحًا في الناكحين، ومحدثًا في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلّيًا خاضعًا بين يدي الله ذليلاً، وإليه أوّاها منيبًا، أفمن هذه صفته يكون إلها؟ فإن كان هذا إلها فليس منكم أحد إلاّ وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث الموصوف بها)[١٥].

٣: معجزات عيسى المسيح عليه السلام لا تدل على ألوهيته

وهنا نقف عند المقطع المهم الذي يستدل به النصارى على كون عيسى المسيح عليه السلام - والعياذ بالله - إلهاً وربًّا، استدل الامام عليه السلام على الجاثليق في المناظرة بضرورة أن يكونوا ألهة كما المسيح عليه السلام: (فإن كان كل من أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ ربًّا من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أربابًا)، ويعتقد المسيحيون بأن المعجزة ضرورة لإثبات النبوة، ودليلا على صدق الأنبياء، وهذه المعجزات لا يفعلها الشخص بقوته الشخصية بل بقوة الله سبحانه، ولكن المسألة تختلف مع المسيح، فإنه يجري المعجزات بقوة لاهوته وسلطانه الإلهي[١٦].

ولذا يعتقدون بأن هذه المعجزات هي أسطع دليل على ألوهيته، لأنّها علامة القدرة الإلهية في من يفعلها بقوته الذاتية، فموسى والأنبياء صنعوا معجزات ولكن ليس بقوتهم الذاتية كما صرّحوا بذلك للشعب، وأما المسيح فقد فعل معجزاته بقوته، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، بل وأعطى تلك القوى إلى الرسل والتلاميذ[١٧]، فالآيات التي صنعها بسلطان كما يليق بألوهيته، مع آيات رسله التي صنعوها باسمه بعد صعوده، وهذا السلطان وهذه القوة لا تكون إلاّ باسم إله، فهذا السلطان ليس من الله ويفعل بإذن الله كما عند غيره من الأنبياء والأولياء، إنما هو السلطان الإلهي بقدرته الذاتية مثل الله نفسه[١٨].

ومن هنا فأن الامام الرضا عليه السلام أشار في هذه المناظرة إلى ما أهم ما يستدلّ به النصارى على إلوهية المسيح عليه السلام وهو عدم وجود ملازمة بين المعجزة والادّعاء بالربوبية؛ لأن كثير من الانبياء كعيسى المسيح عليه السلام كانت لهم معاجز كثيرة ذكرها الكتاب المقدس والقرآن الكريم، فإذا كان المسيح ربًّا وإلهًا؛ لأنه عمل المعجزات فحريّ بنا أن نجعل بقية الانبياء أربابًا وألهة، وهذا ملا يقبله العقل والمنطق المستقيم السوي.

ومن المناسب هنا أن استعرض بعض المعجزات التي أقامها المسيح عليه السلام كما ذكرت ذلك الاناجيل في العهد الجديد ومنها إحياءه للموتى، وذلك في إحياء ابن أرملة نايين عندما قال له: (أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه)[١٩]، ولكن قصة إحياء لعازر تبقى في نظر المسيحيين هي الأهم، وقد مات ودفن لمدة أربعة أيام، فقد جاءت أخت لعازر إلى المسيح وقالت له: يا سيدي لو كنت هنا لما مات أخي، فلما رآها يسوع تبكي قال: أين وضعتموه؟ قالوا له: يا سيد هلّم وانظر، فجاء القبر وقال: ارفعوا الحجر، فقالت له مرتا أخت الميت: لقد أنتن يا سيدي، فإن له أربعة أيام... فرفعوا الحجر... فصرخ قائلا: (يالعازر هلّم خارجاً" فخرج ويداه ورجلاه مربوطتان...)[٢٠] ويعتقد المسيحيون أن قصة إحياء لعازر هي أبلغ دليل على ألوهية المسيح[٢١].

وكذلك معجزات شفاء المرضى، وهي من المعجزات المشهورة للمسيح، وقد تناقلت الأناجيل أخبارها، ومنها قدرته على شفاء الأمراض المستعصية، مثل شفاء الاعمى والابرص وغيرها، بل أحياناً أظهر المسيح عليه السلام قدرته على شفاء المرضى من دون أن يراهم، ومعاجز أخرى كثيرة تناقلتها أناجيل العهد الجديد، بل لقد صرّح يوحنا في إنجيله: (وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم به حياة باسمه)[٢٢].

وبالحقيقة واحدة من المسائل المهمة التي جعلتني أتخلى عن ديانتي المسيحية وأعتنق الدين الاسلامي الحنيف ومذهب أهل بيت العصمة والطهارة[٢٣] هي هذه العقلانية التي وجدتها في تعاليم الإسلام، فهي تنسجم مع فطرة الإنسان وعقله، وهذه الادلة المنطقية التي اقامها القرآن الكريم وترجمها الامام الرضا عليه السلام في مناظرتها مع الجاثليق وغيره هي التي دفعتني إلى قبول الإسلام ديناً واهل البيت عليهم السلام مذهباً يمثل حقيقة الإسلام التي جاء به النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وهي التي فتحت لي الآفاق لدراسة أهم عقيدة في المسيحية وهي إلوهية المسيح عليه السلام، والتي تخالف صريح العقل والنقل حتى في الاناجيل التي بين أيدينا، وقد ذكرت ذلك في بعض مؤلفاتي حول عقيدة التجسد وتأليه المسيح عليه السلام، وهنا أشير بشكل مختصر إلى بعض الادلة النقلية من الاناجيل على نفي ألوهية المسيح عليه السلام وكذلك بعض الادلة العقلية المستمدة من آيات القرآن الكريم ومناظرة الامام الرضا عليه السلام في إبطال هذه العقيدة الخاطئة.

رابعاً: نفي الوهية المسيح من اناجيل العهد الجديد

هناك الكثير من النصوص في الاناجيل الاربعة في العهد الجديد وهنا نشير إلى بعضها على عجالة ومنها، سئل أحدهم المسيح قائلا: (أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله)[٢٤]، وبهذا القول يتضح أن المسيح نفى الإلوهية عن نفسه لأنه رفض أن يُدعى صالحاً، واعتبر هذا اللقب مختص بالله تعالى؛ لأنه الإله الحقيقي.

كذلك فان المسيح عليه السلام كما تذكر نصوص الاناجيل كان ينادي الله تعالى بـ " إلهي" فإذا كان المسيح ربًا وإلهاً كيف يمكن أن ينادي الله تعالى بإلهي؟ ينقل متى في إنجيله لحظات موت المسيح عليه السلام على خشبة الصلب - كما يعتقدون- فيقول:(وقبل أن يسلم روحه صاح بصوت عظيم معاتبا ربه إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني)[٢٥]، ويتضح من هذا النقل على لسان المسيح عليه السلام أن الله هو إله المسيح، وهو ما صرح به بولس في رسالته إلى أهل أفسس حينما قال(كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته)[٢٦]

وعلماء النصارى ومفسري الكتاب المقدس يجيبون على هذا النقل بقولهم:(أن المسيح مع كونه ابن الله الأزلي، إلاّ أنه في مل الزمان جاء إلى الأرض إنساناً مولوداً من امرأة ليفتدي الإنسان الخاطي فقوله: "إلهي وإلهكم" نستطيع فهمه لو أدركنا أن المسيح يربط نفسه هنا بتلاميذه بقوله لمريم المجدلية "إذهبي إلى أخوتي" وما دام قد ربط نفسه بهم وأصبح نائباً عنهم، فالله في هذا الاعتبار هو "إلهه"، وأما قوله "إلهي إلهي لماذا تركتني" فهذا يدل على أن المسيح عندما مات على الصليب مات كإنسان، وبديلا عن الإنسان، فالمسيح هو إله وإنسان معاً، فيصح عليه أقوال متضادة حسب الظاهر، لأنّ ما يدل على أنه إنسان لا ينفي كونه إلهاً أيضاً، وكذلك ما يدل على أنه الله لا ينفي كونه إنساناً أيضا.[٢٧]

وهناك آيات في العهد الجديد تثبت خلاف هذا المدّعى، وهي تؤكد أن المسيح عليه السلام لا حول له ولا قوة مستقلة عن الله تعالى، وأن الاعمال والمعجزات التي قام بها إنما كانت بقوة الله وقدرته، ومن تلك النصوص:

١- ما جاء على لسان وصي المسيح عليه السلام بطرس (شمعون) في سفر أعمال الرسل حيث

قال: (يا بني اسرائيل اسمعوا هذا الكلام: إن يسوع الناصري رجلٌ أيّده الله بمعجزات وعجائب وعلامات اجراها على يده بينكم كما تعلمون)[٢٨]، فهل هناك تصريح أقوى من هذا يدلّ على إن معجزات المسيح كانت بقدرة الله وقدرته لا بقدرة المسيح؟!

٢- كذلك ما قاله المسيح عليه السلام بشكل واضح لا يقبل اللبس، فالمسيح يعترف انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، يقول يوحنا في انجيله: (فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل ما يرى الأب يفعله؛ لان مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك)[٢٩] وأيضاً قوله: (وأنا لا يمكن أن أفعل شيئاً من تلقاء ذاتي، بل أحكم حسبما اسمع، وحكمي عادل لأني لا أسعى لتحقيق ارادتي، بل ارادة الذي ارسلني)[٣٠].

٣- كذلك يصرّح المسيح عليه السلام حسب أنجيل يوحنا أن المؤمن يستطيع أن يفعل ويعمل أعمالاً أعظم من الذي عملها المسيح، يقول يوحنا في انجيله: (الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي يعمل الاعمال التي أنا أعملها، بل يعمل أعظم منها)[٣١]، فإذا كان المسيح مساوياً لله لأنه فعل المعجزات والعجائب، فالمؤمن يستطيع أن يكون أشد مساواة من المسيح لله؛ لانه يعمل أعمالاً أعظم من التي قام بها المسيح.

وأنا أكتفي بهذا المقدار من النصوص من الاناجيل في العهد الجديد على نفي وإبطال ألوهية المسيح عليه السلام، وإن كان هناك المزيد منها مسطور في الكتب المطوّلة.

وقد احتج القرآن الكريم ايضًا على نفي قولهم بإلوهية المسيح عليه السلام بطريقين: الأول: الطريق العام، وهو بيان استحالة الابن عليه تعالى في نفسه، أي سواء كان عيسى هو الابن أو غيره؛ الثاني: الطريق الخاص، وهو بيان أن عيسى ابن مريم ليس ابناً إلهاً بل عبد مخلوق، يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره "الميزان في تفسير القرآن" بخصوص هذه المسألة: (ان المسيح حملت به مريم، وربته جنيناً في رحمها، ثم وضعته وضع المرأة ولدها، ثم ربته كما يتربى الولد في حضانة أمه، ثم أخذ في النشوء وقطع مراحل الحياة والارتقاء في مدارج العمر من الصبا والشباب والكهولة، وفي جميع ذلك كان حاله حال انسان طبيعي في حياته، يعرضه من العوارض والحالات ما يعرض الإنسان، من جوع وشبع، وسرور ومساءة، ولذة

وألم، وأكل وشرب، ونوم ويقظة، وتعب وراحة غير ذلك. فهذا ما شوهد من حال المسيح حين مكثه بين الناس، ولا يرتاب ذو عقل أن من كان هذا شأنه فهو إنسان كسائر الأناسي من نوعه، وإذا كان كذلك فهو مخلوق مصنوع كسائر أفراد نوعه)[٣٢].

ومن الآيات التي أشارت إلى بشرية المسيح عليه السلام ونفي الإلوهية عنه قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٣]، فلو كان المسيح إلهاً لقدر على دفع أمر الله تعالى إذا أراد سبحانه أهلاكه واهلاك غيره، يقول صاحب تفسير مجمع البيان: (وبهذه الآية أجاب الله سبحانه على النصارى القائلين بأن الله جلّ جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتاً يجب أن يُعبد ويتخذ إلهاً، فاحتج عليهم بأن من جاز عليه الهلاك لا يجوز أن يكون إلهاً)[٣٤].

خامساً: نفي الوهية المسيح عقلاً

بالحقيقة كما نبّه الإمام الرضا عليه السلام في مناظرته مع الجاثليق على إستحالة كون عبدٍ يصوم ويصلّي هو الله الخالق المتعالي، وهذا إنّما يمكن إثباته إذا كان المعيار والحاكم في قبول العقائد الحقة من العقائد الباطلة هو العقل والبرهان، فالإمام عليه السلام عندما قال للجاثليق (فلمن كان يصوم ويصلى؟) هو يشير إلى هذه الاستحالة العقلية لنفي إلوهية المسيح عليه السلام وربوبيته، وكم أستوقفتني هذه الجملة الرائعة عن الإمام عليه السلام لعمق دلالتها على مكانة العقل في قبول ورفض العقائد الحقة أو الزائفة.

وأول إشكال يواجه الباحث عن الحق والحقيقة في عقيدة اللاهوت المسيحي (الوهية المسيح) هو أن المسيحيين يغلقون باب العقل ويعطلونه، فهم يتمسكون بأن هذه العقيدة لا يمكن أن يمسّها العقل والادراك البشري، بل هي فوقهما، فهي سر لا يفهم إلا بالإيمان الحقيقي والثابت بالمسيح عليه السلام، وهنا أقدم مقدمة بسيطة لتوضيح مسألة مهمة وهي أن الأمور والقضايا التي تواجهنا لا تخرج عن ثلاث حالات حسب العقل ويمكن تلخيصها كما يلي:

أ: ما هو موافق للعقل: وهي الأمور التي يقبلها العقل ويذعن لها، كالقضية القائلة بإستحالة اجتماع أو ارتفاع النقيضين، أو القول بأن الجزء أصغر من الكل، أو

وجود خالق لهذا الكون، فالعقل البشري يوافق هذه القضية ويصدقها.

ب: ما هو مخالف للعقل: وهي الأمور التي يرفضها العقل ويحكم ببطلانها، كالقول بوجود شريك لواجب الوجود، أو يمكن أن يتحقق المعلول من دون وجود علّة، فالعقل يرفض هذه القضية مطلقا، ويؤكد استحالة مثل هذه القضية، فهي من المحالات العقلية.

ج: ما هو فوق العقل: وهي الأمور والحقائق الغيبية التي تقصر يد العقل عن تناولها والوصول إليها، فإن هناك أمورا فوق طور وكاشفية العقل المباشرة، ولولا أخبار الوحي الإلهي عنها لم يكن للانسان أن يتعرف عليها، كبعض الأحكام الشرعية وكيفيتها، وكذلك الرابطة بين الأفعال الاختيارية للانسان في الحياة الدنيا ونتائجها الأخروية، فهذه الرابطة يعجز العقل عن إدراكها؛ لأنها لا تدخل في دائرته بشكل مباشر، بل ترتبط بعالم الغيب، وغيرها من الأمور(٣٥).

ويجب التنبيه على مسألة مهمة وهي أن القضايا التي هي فوق العقل والادراك البشري، يجب أن لا تدخل تحت الشق الثاني، أي أن لا تكون مخالفة للعقل، وإلا صارت من المحالات التي يرفضها العقل ويبطلها، وهذا ما نجده بالضبط في عقيدة الوهية المسيح عليه السلام، وأمّا كيفية دخولها في المحال العقلي فهو ما نشير إليه هنا بشكل مختصر.

١- ما ذكره العلامة البلاغي في كتابه الرحلة المدرسية ومفاده:(القول أن ذات الله وكيانه انبثق من جوهره وكيانه الالهي موجوداً آخر نسميه إلهاً مولوداً من إله (وهو ما يقول به النصارى) وقد تجسد هذا الابن ونزل إلى الأرض متلبساً بلباس البشر، وهذا الجوهر الالهي المنبثق (الابن) مستقل عن الأب باطل وممتنع؛ لان التعدد في ذات الاله الواحد (الله)، لابد فيه بعد الاشتراك في الألوهية أن يمتاز كل واحد بمميز له عن الآخر بحيث يصح التعدد والحكم به. نقول: هذا الامر المتمايز هل هو بجعل فاعل متصرف، وبتصرفه وتكوينه ميز كل واحد عن صاحبه، فيكون ذلك الفاعل هو واجب الوجود وهو الإله، وبقية الافراد لا توصف بالالوهية، وإذا قلنا أن هذا الاله متعدد ننقل الكلام بعينه إليه.

أو أن المؤثر في امتياز كل واحد من الافراد المتعددة هو طبيعي فيه، فلابد من أن يكون

المائز في امتياز كل منها هو غير الجهة المشتركة بينها من الطبيعة الالهية ووجوب الوجود كما هو واضح، فيكون كل من الافراد مركباً من الطبيعة المشتركة، والامر الطبيعي الذي يمتاز به، وبالنتيجة فيكون محتاجاً إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها ويركبها، فلا يكون كل منها واجب الوجود(٣٦).

٢- ما ذكره الغزالي في الردّ على القول بالوهية المسيح فيقول:(لو فرض وجود هذه الحقيقة "اللاهوت المتحد بالناسوت"، فالقول بانها حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحد من اللاهوت والناسوت، موصوفة بكل ما يجب لكل واحد منهما من لوازم الإنسان وملزوماته وصفاته من حيث هو انسان، وما يجب للاله من الصفات الثابتة له وما يستحيل عليه من الصفات من حيث هو اله، كلام متهافت لا مطمع لاحد في تحقيقه لأنه يجمع بين النقائض، وبيانه: ان الشيء إنّما يوصف بصفة إذا كان وصفه بها ممكناً، وإذا ثبت ذلك امتنع أن يجري على هذه الحقيقة أحكام اللاهوت وأحكام الناسوت؛ لان جميع ما يجب للاهوت من الصفات وغيرها المختصة به من حيث هو لاهوت المميزة له عن غيره، إن كانت ثابتة للحقيقة الثالثة لزم أن تكون عين اللاهوت، وكذلك القول في الناسوت، لاشتراكهما معهما في جميع لوازم كل واحد منهما، وجميع ملزوماته وصفاته الثابتة له من حيث هو اله، ومن حيث هو انسان على حدّ ما ذكر.

إذا لو ثبت المغايرة والحالة هذه، تلزم أن تثبت لشيء جميع ذاتيات الإنسان المقوّمة لحقيقته، وجميع عوارضه اللازمة والمفارقة، ويُفرض مع ذلك حقيقة مغايرة لحقيقة الإنسان، وهذا من المحال البيّن؛ لأن جميع ذاتيات الإنسان المقوّمة له وجميع عوارضه الثابتة له من حيث هو انسان، متى وجدت في شيء أوجبت لذلك الشي حقيقة الانسانية، ونفت عنه صدق ما يغايرها، وإلاّ لم تكن ثابتة له من حيث هو انسان وقد فرضناها كذلك، هذا خلف. ثم لو كانت الهاً كاملاً لثبت لها أوصاف الاله الكامل، ومن اوصاف الاله الكامل أن لا يكون مركباً منه ومن الإنسان، لانه يلزم ان تكون ذات الاله محتاجة إلى الإنسان في الوجود ومسبوقة به وبنفسها أيضاً.

فإن قيل: انما يلزم ذلك إذا جعلناها موصوفة بجميع ما يجب للإله من الصفات وغيرها، وكذلك القول في الناسوت من حيث هو حقيقة، اما إذا أجرينا على كل من اللاهوت والناسوت جميع أحكامه وصفاته التي كانت ثابتة له قبل التركيب، فلِمَ قلتم إن ذلك ممتنع؟

فالجواب: أن اعتبار أحكام جميع ما يجب لكل واحد منهما من حيث هو إله وانسان، إن اعتبرت لا بقيد التركيب، استحال أن يكون للحقيقة الثالثة اعتباراً، إذ يكون ذلك حكماً على المفرد بقيد كونه مفرداً. وإن اعتبرت بقيد التركيب استحال بقاء جميعها بعد التركيب، إذ لو بقى جميع ما يجب لكل واحد من المفردين من حيث هو كذلك بعد التركيب ثابتاً لهما، للزم أن يكون ثابتاً للحقيقة الثالثة، وحينئذ يلزم المحال المذكور، وهو أن تكون الحقيقة الثالثة نفس اللاهوت ونفس الناسوت، لاشتراكها معهما في جميع ما يجب لكل واحد منهما من الصفات وغيرها من حيث هو إله ومن حيث هو انسان. فثبت حينئذ ما ذكرناه، أن وصفها بكل ما يجب لكل واحد من اللاهوت والناسوت ممتنع، سواء اعتبرنا كل واحد منهما بقيد التركيب أو منفكّاً عنه)[٣٧].

فأدلة المسيحيين لاثبات الوهية المسيح باطلة وفق منطق العقل وبراهينه، فلا تصح تلك الادلة لاثبات أمر خطير جداً وهو الوهية المسيح عليه السلام، فلو كان المسيح حقاً هو الله، أو مساو لله في طبيعته وجوهره لاوضح ذلك الامر بشكل لا يبقى معه شك ولا ريب، لانه الاساس الأوّل للمسيحية الذي تقوم عليه بقية العقائد المسيحية، ولكننا كما رأينا لم نجد من كلام المسيح عليه السلام ولا من أدلة المسيحيين ما يقنع العقل والوجدان والفطرة في موضوع مهم وخطير جداً مثل الألوهية، بل على العكس من ذلك فان كلمات المسيح عليه السلام وأقواله في اناجيل العهد الجديد كلها تشير إلى حقيقة أخرى، وهي إن المسيح عليه السلام انسان مخلوق ونبي مرسل أرسل إلى بني اسرائيل، ولا حول ولا قوة له بشكل مستقل، بل يستمدّ قوته كبقيّة المخلوقات من الله الخالق لجميع عالم الإمكان من السموات والارض وما فيهن وما بينهن.

الخاتمة والنتائج:

في ختام هذا البحث نلخص بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث وهي:

أولا: يظهر من خلال هذه المناظرة أن الامام علي ابن موسى الرضا عليه السلام كان عالم باسفار التوراة والانجيل وبلغتها العبرية أو السريانية الآرامية أو اليونانية وقبل ترجمتها للعربية، وهو ما أستشهد به على الجاثليق وأذعن له، وهذه المناظرة تثبت صدق وحقيقة ما نُقل عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان عندهم علم التوراة والانجيل، وعلمهم بهذه الاسفار والاناجيل ليس بتعليم إنسان أو بشر، بل هبة من الله تعالى للائمة المعصومين عليهم السلام أوصياء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

ثانياً: أن الإسلام بمصادره الرئيسة وهي القرآن الكريم والسنّة الشريفة وبالخصوص ما جاء في الاحاديث والروايات عن الامام علي ابن موسى الرضا عليه السلام يرى في المسيح أنه إنسان مخلوق أرسله الله إلى بني اسرائيل وأيّده بالمعجزات، فدعا قومه إلى عبادة ربه وخالقه، فآمن به القليل من الناس، وقد أكّد المسيح عليه السلام هذه الحقيقة من خلال تصريحاته بأنه إنسان ونبي ورسول، وان الله تعالى هو الوحيد الذي له الصفات المطلقة من قدرة وعلم وصلاح وغير ذلك، وكذلك من خلال اعماله التي أظهرت عبوديته وتواضعه وخضوعه لهذا الإله، ولا سيما كثرة صلاته وصيامه وبكائه وتضرعه إلى خالقه، فالإمام الرضا عليه السلام نزّه ساحة المسيح عليه السلام من كل ما يمس كرامته وينال من ساحته المقدسة، ويؤكد قول القرآن الكريم في المسيح عليه السلام؛ إذ رفعه إلى أعلى مقامات الانسانية باعطائه مقام النبوة والرسالة، بل وجعله من أخص الأنبياء الكرام الخمسة الذين وصفهم الله بانهم أولي عزم، ومن جهة أخرى رفض اعطاء أي صبغة من الألوهية للمسيح، بل وحارب كل عقيدة تدّعي الوهية المسيح واعتبرها منحرفة عن الصراط المستقيم، وصرّح بما لا مجال فيه للتأويل ببطلان القول بان المسيح ابن الله أو له طبيعة الله، وأن هذا القول هو خروج عن دائرة التوحيد الذاتي لله تبارك وتعالى.

هوامش البحث

(١). انظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٢.

(٢). وهو عالم شيعي مشهور اسمه محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق من أعاظم علماء القرن الرابع الهجري، ولد سنة(٣٠٥ هجرية ٩٢٥ ميلادي) في مدينة قم، وتوفي سنة (٣٨١ هجرية ١٠٠١ ميلادي) ودفن في مدينة الري.

(٣). انظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٥٢.

(٤). انظر: الأب د. جي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون - الكلدان ص ٢٦.

(٥).انظر: كوركيس عوّاد، الذخائر الشرقية ج٥، ص١٧٥.

(٦).انظر: المطران لويس ساكو، حوارات مسيحية اسلامية، مقاربات لاهوتية بالعربية في عصر الخلافة العباسية، ص٢٢.

(٧). انظر: الصدوق، عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٤٣ -١٤٥.

(٨). انظر: نبيل محمد الكرخي، تعريف بترجمات الكتاب المقدس المخطوطة والمطبوعة، مدونة كتابات في الميزان: https://www.kitabat.info/subject.php

(٩). انظر: الخوري بولس الفغالي، المدخل الى الكتاب المقدس، ج١، ص١٠٠-١٠٣.

(١٠). العهد الجديد، انجيل متى، الاصحاح ٤: ١ - ٢.

(١١). القمص تادرس يعقوب ملطي، شرح الكتاب المقدس، العهد الجديد، سلسلة من تفسير وتأملات الآباء الأولين، تفسير انجيل متى.

(١٢). العهد الجديد، انجيل لوقا، الاصحاح ٢٢: ٤٠ - ٤٦.

(١٣). العهد القديم، سفر حزقيال، الاصحاح ٣٧: ١ - ١٤.

(١٤). سورة البقرة: ٢٤٣

(١٥). المجلسي، بحار الانوار، ج٢٥، ص٢٧٥.

(١٦). انظر: القس ميخائيل لبيب، لاهوت المسيح، ص٩٣.

(١٧). انظر: القس جيمس أنس، نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، ج ١، ص ٢٤٦.

(١٨). انظر: منير مجدي، كيف يكون المسيح ربًّا وإلهاً، ص١٠٧.

(١٩). العهد الجديد، انجيل لوقا، الاصحاح ٧: ١٤.

(٢٠). العهد الجديد، انجيل يوحنا، الاصحاح ١١: ١٧.

(٢١). انظر: دانيال روبس، يسوع في زمانه، ص٣٠٥.

(٢٢). العهد الجديد، انجيل متى، الاصحاح ٢٠: ٣٠

(٢٣). كنت مسيحيًّا وبفضل من الله أهتديت إلى الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام وقد ذكرت قصة هدايتي في كتاب عنوانه "هبة السماء رحلتي من المسيحية إلى الإسلام" وهو مطبوع عدّة طبعات وموجود على الشبكة العنكبوتية.

(٢٤). العهد الجديد، انجيل مرقس، الاصحاح ١٠: ١٧ -١٨.

(٢٥). العهد الجديد، انجيل متى، الاصحاح ٢٧: ٤٦-٤٨.

(٢٦). العهد الجديد، رسالة بولس إلى أفسس، الاصحاح ١: ١٧.

(٢٧). انظر: القس جيمس أنس، نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، ج١، ص٢٦١؛ القس ميخائيل لبيب، لاهوت المسيح، ص ١٣٧.

(٢٨). العهد الجديد، اعمال الرسل، الاصحاح ٢ : ٢٠.

(٢٩). العهد الجديد، انجيل يوحنا، الاصحاح ٥ : ١٩.

(٣٠). العهد الجديد، انجيل يوحنا، الاصحاح ٥ : ٣٠.

(٣١). العهد الجديد، انجيل يوحنا، الاصحاح١٢ : ١٤.

(٣٢). الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٣٣٢.

(٣٣). سورة المائدة : ٧.
(٣٤). الطبرسي، مجمع البيان، ج٣، ص٢٣٠.
(٣٥). انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٣٥٥.
(٣٦). البلاغي، الرحلة المدرسية، ج ٢، ص ٣٢٧.
(٣٧). الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل، ص٣٢.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم
الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)
١. الأب د. جي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون- الكلدان، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتحقيق: الأب يوسف توما، بغداد، مجلة الفكر المسيحي،٢٠٠٧م.
٢. البلاغي، محمد جواد، الرحلة المدرسية، ايران، نشر توحيد، ١٩٩٣م.
٣. الخوري بولس الفغالي، المدخل الى الكتاب المقدس، بيروت، الكتبة البولسية، ١٩٩٤م.
٤. دانيال روبس، يسوع في زمانه، ترجمة حبيب باشا البولسي، بيروت، منشورات العربية، ١٩٩٨م.
٥. الصدوق، محمد بن علي بابويه، عيون اخبار الرضا عليه السلام، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٤م.
٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، اسماعيليان، ١٣٧٤ ش.
٧. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، النجف الاشرف، دار النعمان للنشر، ١٩٦٦م.
٨. الطبرسي، الفضل ابن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٥م.
٩. الغزالي، ابو حامد، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل، تركيا، دار الشفقة، ١٩٩٤م.
١٠. القس جيمس أنس، نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، بيروت، مطبعة الاميركان، ١٩٨٠م.
١١. القس ميخائيل لبيب، لاهوت المسيح، بيروت، دار السلام للنشر، ١٩٨٩م.
١٢. القمص تادرس يعقوب ملطي، شرح الكتاب المقدس، العهد الجديد، سلسلة من تفسير وتأملات الآباء الأولين، تفسير انجيل متى.
١٣. كوركيس عوّاد، الذخائر الشرقية، تحقيق جليل العطية، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م.
١٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، مؤسسة اسماعيليان، قم المقدسة، ١٣٨٨.ش.
١٥. المطران لويس ساكو، حوارات مسيحية اسلامية، مقاربات لاهوتية بالعربية في عصر الخلافة العباسية، كركوك، منشورات الكنيسة، ٢٠٠٩م.
١٦. منير مجدي، كيف يكون المسيح ربًّا وإلهاً، القاهرة، لوجوس سنتر، ١٩٩٥م.